

« انجلترا ، انجلترا العظمى ، وانجلترا الحرة ، انجلترا سيدة البحار سوف تفهم اهدافنا . ويجوز لنا التأكد بأن الفكرة الصهيونية سوف تنطلق من هنا في طيراتها محلقة الى اجواء اعلى وأبعد » . (٧)

فلو اعتبرنا الاستشهادات الواردة اعلاه بمثابة دليل واضح على الطبيعة الحقيقية للمغامرة الصهيونية كمشروع استعماري يسمى للحصول على اعتراف دولي تحت ستار التوازي بين المصالح اليهودية والبريطانية ، نوجب ان يمثل وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧ نقطة التحول في الاتجاه الصهيوني والطابع المتأصل للعملية الاستعمارية الصهيونية . أي ان الوعد المذكور يرمز الى تركيز الاهتمام على العطف البريطاني بالنسبة لاقامة « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين .

ان البحث عن اعتراف دولي يصبح بحثاً ، تحت رعاية بريطانيا وفي ظل انتدابها ، عن تأمين الاكثية اليهودية داخل فلسطين واستحصا أكبر نسبة ممكنة من اراضيها ، لكي يتم ايواء المستعمرين والمستوطنين العتيدين .

٢ - التنفيذ : ١٩١٨ - ١٩٤٨

« هنا تقدم الصهيونية الحل لمعضلة مؤلمة . فلو كنا نحن اليهود على استعداد لتوطيد دعائم المركز البريطاني في الشرق الاوسط ، وعلى استعداد للوقوف الى جانب انجلترا في حراسة قناة السويس ، وعلى الطريق الى الهند ، وللحؤول دون طفيان النفوذ الاجنبي والمادي ، وبدون تصادمه مع المصالح الحيوية للامبراطورية ، نكون بذلك قد اسدينا الى انجلترا خدمة تستحق ان تؤخذ بعين الاعتبار المادي » .

(ماكس نوردو : ١٩٢٠)

عندما ادلى ماكس نوردو بهذا البيان الصريح عن الاهداف والاماني الصهيونية ، منذ خمسين عاماً ، كانت العملية الاستعمارية التي بلغت ذروتها في قيام اسرائيل قيد التنفيذ ، بينما أضحى التحالف بين الصهيونية وبريطانيا الامبريالية حقيقة ثابتة وراثة . بيد ان النضال الأكبر في رسم معالم هذا التحالف المصلحي بين الطرفين يرجع الى صهيوني أممي كان صاحب اليد الطولى في ذلك . فالمعلق العسكري في صحيفة « المانشستر غارديان » - هيربرت سايد بوثام - والذي درج على توقيع مقالاته بعبارة « طالب الحرب » ، هو السباق الى ابراز حسنات التحالف المنشود والتفويه بمنافعه .

لقد كتب سايد بوثام مقالاته قبل ان يتبنى بلفور مبدأ الصهيونية (عام ١٩١٦) ، فحاول تعيين الخطوط العريضة للاولويات البريطانية والتوقعات الصهيونية الملزمة لها ، وفعل ذلك من زاوية خلق « دولة عازلة بصورة مثلى » أمام مصر - اي اقامة « دولة يهودية في المستقبل تحت رعاية التاج البريطاني وسيطرته » . وعلى اساس الافتراض الرئيسي القائل بأن « فلسطين تؤلف الان ، وفي كل آن ، مفتاح مصر » رأى سايد بوثام متطلبات الاستعمار البريطاني في ضوء ما يلي :

« انه لمن الواضح ، اذن ، وقياساً على ما حدث في الهند ، يبدو ان ما نطلبه لتأمين دفاع افضل عن مصر ، وتخفيف اعباء هذا الدفاع ، هو دولة تؤدي بالنسبة لحدود تلك الوظيفة التي أدتها أفغانستان بالنسبة للهند . وبدون ذلك سوف يكون مركزنا الى الجنوب مما يعرف بالامبراطورية التركية الان في وضع صعب للغاية . فسواء اخذنا ظروفنا السياسية بعين الاعتبار ، أو نظرنا الى الامبراطورية البريطانية من حيث كونها تستند بصورة رئيسية الى السيادة البحرية ، أو من زاوية قدرتنا على تطوير قوتنا العسكرية بسرعة لمواجهة الطوارئ المفاجئة ، فان تجربتنا السعيدة في الهند ينبغي تكرارها في المنطقة الجديدة « عبر الهند » . (٨)